

استدعاء الفلك والأجرام السماوية في شعر أبي الفتح البستي (ت 400 هـ)

أ.م.د. علي عبد الحسين جبير  
جامعة القادسية / كلية التربية  
ali.jbear@qu.edu.iq

**الملخص :**

تعدُّ ظاهرة استدعاء الفلك والأجرام السماوية في شعر أبي الفتح البستي من أهم المميزات والخصائص الأسلوبية التي تميَّز بها هذا الشاعر العباسي ، إذ تلوَّنت أشعاره بعشرات الألفاظ الدالة على الفلك والنجوم ، إذ مزج الشاعرُ من خلالها بين مكونات الطبيعة من جهةٍ ، وما يجده من دلالات متشابهةٍ تحاكي واقع ما تحمله هذه الظواهر من رموز وحركة وثباتٍ وأقولٍ من جهةٍ ثانيةٍ ، إذ أصبحت رافداً ثراً استلهم أبو الفتح البستي منه الصورة الشعرية المؤثرة والمكتنفة للتعبير عن الأغراض والمقاصد التي تجول في وجدانه وخاطره .

**الكلمات المفتاحية:** البستي ، شعر ، الفلك والأجرام .

**Asst .prof.Dr.Ali Abdul-Hussein Jubair**

**ali.jbear@qu.edu.iq**

**Abstract**

The phenomenon of summoning astronomy and celestial bodies in the poetry of Abu Al-Fath Al-Busti is one of the most important stylistic features and characteristics that distinguished this Abbasid poet, as his poems were colored with dozens of words denoting astronomy and stars. The reality of what these phenomena carry of symbols, movement, stability and decline on the other hand, as they became a rich tributary, from which Abu Al-Fath Al-Busti was inspired by the influential and intense poetic image to express the purposes and purposes that roam in his conscience and his mind.

**Keywords:** Al- busti, poetry, astronomy and objects.

المقدمة :

لا مناص من القول أن السماء وما تنطوي عليه من فلكٍ وأجرامٍ سماويةٍ هي مصدر إلهام للشاعر العربي عموماً ولشاعرنا أبي الفتح البستي خصوصاً ، إذ كونت بحضورها في نص البستي مادة جديرة بالدرس ، بم تضمنته من مظاهر وظواهر تكوّن مادة إبداعه ومصدر عطائه . إذ مزج أبو الفتح البستي بين مكونات الطبيعة من جهة ، وما يجده من دلالات متشابهة تحاكي واقع ما تحمله هذه الظواهر من دلالات ورموز ومعانٍ وحركة وثبات وظهور وافول وتغيير أشكال واختلاف بما ينسجم مع واقع الحال والتجربة التي يمر بها والتي يريد إيصالها للقارئ بأوجز تعبير وأبلغ تصوير فقد تنوعت رؤية البستي للفلك والأجرام السماوية بحسب موقعها في النفس ، وأضفى عليها ما يختلج في صدره ، وما يخترنه عقله من رأي وتفكير عنها انطلاقاً من الرأي السائد بأن: الفلك والظواهر الكونية تملك الفاعلية المباشرة للتأثير في الأشياء ، وتغير مساراتها ومصائرنا (الغانمي ، 2015م ، ص51-52) .

إذ تظهر لديه ملكة الخيال جامحة لخلق صورة إبداعية منسجمة مع الطبيعة الصامتة الموحية مولدة بذلك جملةً من الروى والدلالات الجمالية والعاطفية والفكرية والنفسية ، والتي تخلق بدورها نسقاً ومنتاً شعرياً مؤثراً .

وبناءً عليه فقد قُسم البحث على ما يأتي :

أولاً : الألفاظ : وقد عمدنا فيه إلى ألفاظ الفلك والأجرام السماوية التي وردت عند أبي الفتح البستي معتمداً على الأسلوبية الإحصائية في ذلك .

ثانياً : الدراسة الموضوعية : وتناولنا فيه أهم الأغراض التي انساقت فيها ألفاظ الفلك والنجوم والدلالات التي أوحى إليها .

أولاً : الألفاظ :

فقد تنوعت ألفاظ الفلك والأجرام السماوية في شعر البستي ، إذ جاءت على ثلاثة أشكال وينسب متباينة ، وهي كالآتي :

1- الألفاظ العامة للفلكيات :

| ت  | اللفظة | عدد مرات ورود اللفظة |
|----|--------|----------------------|
| 1- | الفلك  | 12                   |
| 2- | البرج  | 9                    |
| 3- | النجم  | 7                    |
| 4- | الكوكب | 6                    |
| 5- | الجُرم | 1                    |
|    |        | المجموع الكلي : 35   |

2- ألفاظ الأجرام السماوية (الكواكب والنجوم والأبراج) :

| ت             | اللفظ    | عدد مرات ورود اللفظة |
|---------------|----------|----------------------|
| 1-            | الشمس    | 19                   |
| 2-            | القمر    | 8                    |
| 3-            | البدر    | 8                    |
| 4-            | المشتري  | 5                    |
| 5-            | المريخ   | 4                    |
| 6-            | زحل      | 4                    |
| 7-            | الحوت    | 4                    |
| 8-            | عطارد    | 3                    |
| 9-            | الحمل    | 3                    |
| 10-           | الثور    | 2                    |
| 11-           | الفرقدان | 2                    |
| 12-           | الجوزاء  | 1                    |
| 13-           | التنين   | 1                    |
| 14-           | الميزان  | 1                    |
| 15-           | الهلال   | 1                    |
| المجموع الكلي |          | 66                   |

3- الظواهر الفلكية :

| ت             | اللفظ  | عدد مرات ورود اللفظة |
|---------------|--------|----------------------|
| 1-            | الكسوف | 5                    |
| 2-            | الخصوف | 3                    |
| المجموع الكلي |        | 8                    |

والمجموع الكلي لكل الألفاظ في كل الحقول = 109 لفظةً  
ومن ثم فإنّ هذا الكم الكبير من الألفاظ الواردة في الجداول أعلاه كوّن تواتراً في شعر أبي الفتح  
البُستي وشكّل ظاهرةً لافتةً ومثيراً أسلوبياً أفاد منه الشاعر كثيراً في سياقه الإبداعي .

ثانياً: الدراسة الموضوعية :

لقد تنوعت الأغراض الشعرية التي جاءت فيها ألفاظ الفلك والأجرام السماوية ، وقد جاءت وبحسب  
نسبة الورد والتواتر على الشكل الآتي :

أ- المديح :

من أكثر الأغراض التي انساقت فيها ألفاظ الفلك والأجرام السماوية هو غرض المديح ، إذ إنّ  
الشاعر حاول جاهداً أن يوظف هذه الألفاظ لما وجد فيها من أبعاد دلالية وجمالية موحية ومؤثرة في  
الخطاب الشعري والمتلقي ، فنراه يقول في مدح أحد الولاة ( البُستي ، 1989م ، ص33 ):

كالتَّسْمِيسِ نَوْراً وَلَكِنْ مَا لَهُ لَهَبٌ كَالغَيْثِ جُوداً وَلَكِنْ وَبُئْهُ الذَّهَبُ  
أَفْعَالُهُ غُرَّرَ أَقْوَالُهُ سُورَ أَقْلَامُهُ فُضِبَ آرَاؤُهُ شُهُبٌ

نلاحظ الشاعر في النص عمد الى دال الشمس ؛ بوصفها مصدراً للعطاء والنور والضياء وهي بذلك قرينة للممدوح ، لأنه يملك الصفات نفسها ، ونلاحظ أنَّ الصورة كانت جوهر العملية الشعرية وكيانها (الصائغ ، 1987م ، ص23) .

ومنهُ يَقُولُ ( البُستِي ، مصدر سابق ، ص61):

وَأَخَذْتُ فِي حَزْنِ رِكَائِبِ صُحْبَتِي وَالصَّارِخُ الْمُهَوَّفُ خَيْرُ صَرِيخِ  
يَا مَن تَوَلَّى الْمُشْتَرِي تَدْبِيرَهُ ! حَاشَاكَ أَنْ تَقَادَ لِلْمَرِيخِ

المُشْتَرِي هو رمز السعد عند العرب ، أمَّا المريخ فهو رمز النحس الأكبر، إذ حاول شاعرنا أبو الفتح البُستِي أن يفيد من هذه المزية في تعزيز سلطة الدلالة في هذا الخطاب وبيان المقصود .

ويقول مادحاً الخليفة (البُستِي ، مصدر سابق ، ص87):

مِنْ وَجْهِهِ ، يَطْلُعُ نَجْمُ الْمُشْتَرِي يَاقُوْتُهُ يُنْمِرُ شَهْدَاً ، فَأَشْتَرِ

وتستمر الاستعانة بـرمز السعد ؛لأنه الأنجعال في رأي الشاعر في توصيل المعنى مع التأثير في بنية السياق الشعري .إذ إنَّ الشاعَرَ عَبَّرَ مِنْ خِلالِ آيَاتِهِ عَنْ طَرِيقَةِ التَّفَكِيرِ الجَمْعِيِّ أَتْجَاهِ الكَوَاكِبِ ، حيث ينظرُ الناس إليها بأنَّها سببٌ من أسباب السعادة أو الحزن ( الهرامة ، 1996م ، ص64) .

وقوله مادحاً الخليفة (البُستِي ، مصدر سابق ، ص23-24) :

إِذَا دَهَى خَطْبَ فَاَرَاؤُهُ تُغْنِي عَنِ الْجَيْشِ وَتَسْرِيهِ  
وَإِنْ دَجَا لَيْلٌ ، بَدَا نَوْرُهُ لِلرَّكِبِ نَجْمًا ، فَهِيَ تَسْرِي بِهِ

فـالخليفة هو الهادي للجيش في ساحات المعركة فهو النجم الي يُستضاء به ،فهو رمز العطاء والنور .نلاحظ إفادة أبي الفتح البُستِي من معجم الفلك ، لما له من لغة حية ثرة تحملُ شحنةً خياليةً عاليةً ومؤثرةً .

ومنهُ -أيضاً- (البُستِي ، مصدر سابق ، ص276) :

وَلَوْ كُنْتُ أَنْتَرُ مَا تَسْتَحِقُّ نَثَرْتُ عَلَيْكَ نُجُومَ الْفَلَكِ

النجوم في النص رمزُ الألق والبهجة والنور والسرور والسمو، فهذا الرمز جديرٌ بالنثر فوق الأمير ، فالقارئ يجدُ أنَّ سياقات الشاعر تحولت إلى تكوينات جمالية تستحضرُ فيها لغة الإبداع الهياة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغةٍ جديدةٍ (الصائغ ، مصدر سابق ، ص159) .

وقوله -أيضاً- مادحاً نظم أحدهم وكتابته ( البُستِي ، مصدر سابق ، ص56):

فَدَيْتُكَ ، يَا مُحَمَّدَ ، مِنْ كَرِيمٍ هَنِيءٍ صَرْفُهُ ، عَذْبُ الْمِزَاجِ  
لَهُ فِي النَّظْمِ ، مِنْهَاجٌ بَدِيعٌ وَلَيْسَ ، لِذَلِكَ الْمَنْهَاجِ هَاجِ

معانيه بروج ليس تُرقى ، وهل يرقى ، إلى الأبراج راج ! ؟  
حتى في مدح المعاني يعمد الشاعر إلى جعلها بروجاً عاليةً لا يرتقي إليها أحدٌ ، بوصفها رمزاً للعلو والارتفاع والوضوح والتميز .

وقوله في ركن المعالي ( البُستي ، مصدر سابق ، ص 65 ) :

رُكِنَ المعالي ، قِبلةَ المحامدِ ، وشحَّةُ بَكْلِ لفظِ فارِدِ

وكلُّ معنَى ، للهومِ طارِدِ كأنما استملاءً من عَطاردِ

وتبقى الألفاظ والمعاني المختارة من قبل شاعرنا لُزْنَ المعالي متميزة وذات خصوصية ومتفردة ، وتبعث على الأمل وطاردة للهوم ، وقد جاء عَطارد-هنا -بوصفه رمزاً للبهجة والسرور .

ويقول في مدح الخليفة ( البُستي ، مصدر سابق ، ص 27 ) :

وإني لمحتاجٌ إلى سيدٍ له سماحٌ ، ورأيٌ ، لا تغيبُ كواكبُهُ

فيكشفُ أيامَ الجدوبِ سماحُهُ وتفشُّ أكمَامَ الغُيوبِ تجارِبُهُ

يلاحظ القارئ أنَّ الشاعرَ أبا الفتح البُستي قد جعل ألفاظ الكواكب في هذا النص الشعري مصدراً من مصادر العطاء والنور ، فالصورة عند شاعرنا البُستي هي وسيلته في التعبير عما يجول في خاطره ، ويعمدُ إليها قاصداً استجابة الحواس عند جمهور القراء (الهرامة ، مصدر سابق ، ص 91) .

ومنهُ في مدح الخليفة -أيضاً- ( البُستي ، مصدر سابق ، ص 29 ) :

رُبَّ شعرٍ لمَّا مدحتك فيه سارَ في العالمين ، بُعداً وقرباً

فكأني أودعتهُ فلكَ الشمسِ فعمَّ البلادَ شرقاً وغرباً

الملاحظ أنَّ الشمس جاءت بوصفها رمزاً للضياء في هذا النص ، وكانت معادلاً موضوعياً للممدوح إذ أشارت للسمو والرفعة والضياء . والملاحظ أنَّ الصورَ الفلكية التي أودعها شاعرنا في بنيته الإبداعية قد غلبت عليها المبالغة ، قاصداً التأثير في الممدوح وجمهور المتلقين .

ب- الفخر: لقد استعان أبو الفتح البُستي بشكلٍ لافتٍ في غرض الفخر بدوال الفلك والأجرام السماوية، حتى غدت سمةً بارزةً في شعره ،

إذ يقول مفتخراً بنفسه (البُستي ، مصدر سابق ، ص 94 ) :

لئن تنقلتُ ، من دارٍ إلى دارٍ وصرتُ بعدَ ثواءٍ زهنَ أسفارِ

فالحُرُّ حُرٌّ عزيزُ النفسِ حيثُ نوى والشمسُ في كلِّ بُرجٍ ، ذاتُ أنوارِ

يفتخرا لشاعر كثيراً بنفسه ، حيث يقول إنّ تنقله بين دار ودار لا يؤثر في شخصيته ومكانته الاجتماعية ، بل يبقى شامخاً خُراً ، حاله كحال الشمس التي تنتقل بين الأبراج لكنها مضيئة ومشرفة ، فالشاعر يستدعي الصور البصرية دائماً ، لأنها من أدقّ الحواسِ ، ومن أكثرها تأثيراً في الواقع (الهزامة ، مصدر سابق ، ص91) .

ومنه -أيضاً- (البُستي ، مصدر سابق ، ص 17) :

أَوْ خَيْلُوا لَكَ أَنَّ عَهْدِي أَبْتَرُّ فَالْحُرُّ لَا يَرْضَى بَعْدَهُ أَبْتَرِ  
طَبْعِي كَطَبْعِ الْمُشْتَرِي مَا فِيهِ مِنْ شَرِّ ، فَهَلْ مِنْ مُشْتَرٍ لِلْمُشْتَرِي؟

يلاحظ أن الشاعر يفخر بنفسه بأنه صاحب كلمة وعهد ، ولا ينقض العهد أبداً ، وأن طبعه مماثل لطبع المشتري في الدلالة على الخير والعتاء ، فالفلك -كما يبدو جلياً- عند البُستي يمثل عنصراً من عناصر الإيحاء والتأثر بسبب الدلالة التي يولدها في النص ، وهذا -بالطبع- مصداق لقول أحد النقاد (أنّ للألفاظ أرواحاً ، ووظيفة التعبير الجيد أن يُطلق هذه الأرواح في جَوْها الملائم لطبيعتها فتستطيع الإيحاء الكامل) (العريض ، 1974م ، ص 12) .

ويقول بعد حبسه مفتخراً ( البُستي ، مصدر سابق ، ص 105) :

فديتُك يا رُوحَ المكارمِ كُلِّها ! بَأَنْفَسِ ما عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ والنَّفْسِ  
حُبِسْتُ وَمِنْ بَعْدِ الكُسُوفِ تَبْلُجُ تُضِيءُ بِهِ الأَفَاقُ لِلبَدْرِ وَالشَّمْسِ

ظهر لنا الكسوف في هذا النص بوصفه رمزاً للشاعر ومعادلاً موضوعياً للذات ومعاناتها في هذه الحياة ، إذ إنّ اختفائه المشابه للكسوف هو اختفاء واحتجاب مؤقت ، ومن بعده سينطلق النور والضوء الأبدي الذي يغمُر الكون ، وقد عمد الشاعر إلى هذه الألفاظ ، لأنها توقظ في النفس المستقبلية مجموعة من المشاعر والأحاسيس الموجبة .

و يقول -أيضاً- ( البُستي ، مصدر سابق ، ص 258) :

لَئِنْ كَسَفُونَا بِلَا عِلَّةٍ وَفازَتْ قِداحُهُم بِالظَّفَرِ  
فَقَدْ يَكْسِفُ مِنْ دُونِهِ كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسَ جُرْمُ القَمَرِ

ويستمر مصطلح الكسوف بوصفه باعثاً إبداعياً عند البُستي ، ليظهر من خلاله خلجاته ومكوناته الداخلية ، وبأن الكسوف ليس ضعفاً أو انهزاماً بل حالة عابرة لا تؤثر في هيبة ومكانة البُستي ، وأن الشمس تتكسف لكنها عالية متوهجة في كبد السماء .

ج- الغزل: أخذ الغزل حيزاً من الألفاظ الكونية، حيث يقول متغزلاً (البُستي، مصدر سابق ، ص 135):

أَيُّها البَدْرُ الَّذِي يَجْلُو الدُّجَا إِنَّ رُوحِي فِي هِوَاكُم تَحْتَرِقُ

أنا من جملة أحرارِ الورى غير آتي في هواكُم تحت رِق

تألق الشاعرُ كثيراً في استدعاء الألفاظ الكونية ، بوصفها مصدراً ثراً من مصادر الجمالِ والمتعة ، فهو يقفُ في هذا النص متغزلاً بمحبوبته ، واصفاً إياها بالبدرِ جمالاً وجاذبيةً . ويقول -أيضاً- (البُستي ، مصدر سابق ، ص40):

لقد راعني بدرُ السَّما بصُدوده ووكلَ أجناني برعي كواكبه

فيا مُهجتي ! لا تجزعي من جفائه و يا كيدي ! صبراً على ما كواك به

ويرجع مرةً أخرى ليمثل محبوبته ببدرِ السماء علواً وتميزاً وسحراً . والقمرُ عندما يصبحُ بدرًا يمثلُ قمةً اكتمالِ النور والضياء ، وهذه الصورُ تخرجُ مشحونةً بالعاطفة والإحساس (لويس ، 1982م ، ص23) ، فضلاً عن النغم الهادر المنبعث من موسيقى الجناس (كواكبه ، كواك به) . ومنهُ يقول ( البُستي ، مصدر سابق ، ص145) :

يا قمرًا في الفؤادِ حلًا ! دمي حرامٌ فكيف حلًا ؟

عليّ سيفُ الصُدودِ سلًا والقلبُ مِنْهُ للوصلِ سلًا

نلاحظ أن القمرَ جاء علامةً من علامات الجمال والألق ، فشاعرنا يمثل معشوقته بالقمرِ بياضاً وإشعاعاً ، وهنا سيادةٌ مطلقةٌ للخيالِ الجامح عند الشاعرِ في بثِّ الصورِ والألوانِ والأشكالِ . ومنهُ قولُهُ ( البُستي ، مصدر سابق ، ص210):

قمرٌ يقمرُ العُقُولُ بسحرٍ ما لهُ مركزُ سوى عينيهِ

فالشاعرُ يُكثر من دال القمرِ ، لأنه أيقونة الضياء والحُبِّ ، و يستعين أدينا البُستي بهذه الدوال والألفاظ ، لأنه يعي جيداً ما للفلك من تأثير في بنية النصِّ الإبداعِيِّ من تأثيرٍ في المتلقي والجمهورِ . ومنهُ -أيضاً- ( البُستي ، مصدر سابق ، ص143) :

شوقي إليك ربيعُ القلبِ مُلبسُهُ وشي السُرورِ بأنوارِ من الخللِ

فإن أردت له مثلًا يُشابهُهُ فانظرُ إلى حُسنِ فِعلِ الشَّمسِ في الحَمَلِ

وهنا في هذا النص يندفع الشاعر ليمثلها بالشمس إشعاعاً وانتشاراً ، فالصورة البصرية -هنا- محاكاة للطبيعة وجمالها ونورها . ونجدُ في هذا النصِّ تقاعلاً بين الفكرة والرؤية والحواسِّ ، إذ يستعين المبدعُ بلغةٍ شعريةٍ مستندةً إلى طاقة اللغة الانفعالية بتشبيهاتها واستعارتها ، لأجل خلق الاستجابة والتأثير في جمهور السامعين والقراء (غزوان ، 1994م ، ص119) .

وله -أيضاً- ( البُستي ، مصدر سابق ، ص149):

يا غزلاً بوجهه جُدريّ ظلَّ يحكي كواكباً في هلال

لا تَلْمَنِي إِنْ نَمَّ بِالسِّرِّ دَمْعِي فَلَهُ الذَّنْبُ خَالِصاً مِنْهُ لَا لِي

يشبه محبوبته بالهلال المتوهج جمالاً وروعة وضياءً ، ويصل العشقُ إلى حدِّ البكاءِ من ألمِ الفراقِ ، ويتضحُ جلياً هيمنةُ مصطلحاتِ الفلكِ والأجرامِ السماويَّةِ على البنيةِ البيانيَّةِ لصورِ أبي الفتحِ البُستيِّ، مع الموسيقىِ الموحيةِ والمؤثرةِ من بنيةِ الجناسِ ( هلال ، ه لا لي ) والتي تكثَّفُ اللحظةِ الشعوريَّةِ عندِ البُستيِّ .

د-الحكمة : نالتُ الحكمةَ نصيباً من ألفاظِ النجومِ والكواكبِ والأبراجِ ، إذ يقولُ ناصحاً ومحدِّراً من سطوةِ الملوكِ وتقلبِ مزاجهمُ (البُستيِّ ، مصدر سابق ،ص67):

سَلِ اللهُ الغَنِيِّ تَسألُ جِوَاداً      أَمِنْتَ على خَزَائِنِهِ النَّفَادِ  
وَإِنْ أَصْفَاكَ سُلْطَانٌ بِقَرَبِ      فَلَا تُغْفَلُ تَرْقُبَكَ البِعَادِ  
فَقَدْ تُدْنِي المُلُوكُ لَدَى رِضَاها      وَتُبْعُدُ حِينَ تَحْتَقِدُ احْتِقَادِ  
كَمَا المَرِيخُ بِالتَّثْلِيثِ يُعْطِي      وَبِالتَّرْبِيعِ يَسْلُبُ ما أَفَادِ

يُحذرُ الشاعر-هنا- الجمهورَ من أنْ الاقترابِ من السلطانِ ليس مدعاةً للأمانِ ، لأنَّ الملوكِ والسلاطينَ لا أمانَ لهم ، يقربوكَ اليومَ ، ويبعدوكَ غداً ، وهذه الحكمةُ عضدها الشاعرُ بدالِ المريخِ ، وهو رمزُ التشاؤمِ والنحسِ ، حيثُ إنَّ المريخَ في البُعدِ الثالثِ للمجرةِ يُعْطِي بريقاً ولمعاناً ، ولكنَّهُ في البُعدِ الرابعِ يأخذُ ما أعطى من الضوءِ ، ويصبحُ الكونُ أشدُّ ظلمةً . فيسلبُ ما أعطى .وقدْ افادَ الشاعرُ كثيراً من هذه الرموزِ المؤثرةِ والمتجدرةِ في وجدانِ العربِ عموماً .

ويقولُ -أيضاً-( البُستيِّ ، مصدر سابق ،ص250) :

لا تُعَوِّلِ على شخصٍ عُمِّمٌ      وَصورةُ ذاتِ حُسْنٍ تَبْهَرُ القَمْرَا  
فَكَمْ فَتَى ! راقٍ مِنْهُ ظاهِرٌ حَسَنٌ      وَكانَ باطنُهُ ضِدَّ الذي ظَهَرَ

فالشاعرُ ينبِّهُ في هذا النصِ إلى أننا يجبُ أنْ لا نغترُّ كثيراً بالأشكالِ ، فإنَّ الأشكالَ خداعةٌ ، ويجبُ أنْ نعتدَّ على الأفعالِ والأقوالِ قبلِ المظاهرِ ، لأنَّ أغلبها مُزيفٌ مبهرجٌ لا قيمةَ له .فالأخلاقُ هي معيارُ التفاضلِ بينِ الناسِ .فالشاعرُ يعمدُ على الألفاظِ التي تستجلي المعاني المُتخيِّلةِ .

ومنه (البُستيِّ ، مصدر سابق ،ص274):

ألا أبلغُ السلطانَ عَنِّي نصيحةً      يُشيعُها ودٌّ ورأيٌ مُحْنَكٌ  
تجاوزتُ أوجَ الشَّمْسِ غِزاً ورفعةً      ودللتُ قسراً كُلَّ مَنْ قد تملَّكوا  
تأَنَّ فأوجُ الشَّمْسِ لا يتحركُ ؟      تَأَنَّ فأوجُ الشَّمْسِ لا يتحركُ ؟

يدعو الشاعر إلى التآني في الحياة والروية في اتخاذ القرارات ، لكي لا يكون ندم في المستقبل في اتخاذ القرارات لاسيما في المسائل المصيرية ، وخاصة مسائل الحرب ، وعليه أن يثبت كتابت الشمس مع قمة عطائها اللامتاهي ، وهذه المفردات الفلكية تبعث في النفس الايحاءات .  
وقوله ناصحاً الكُتّاب (البُستي ، مصدر سابق ،ص278) :

يا معشرَ الكُتّابِ ! لا تتعرضوا لرياسةٍ وتصاغروا وتخاذموا  
إنَّ الكواكبَ كُنَّ في أشرافها إلاَّ عطارِدَ حينَ صوَّرَ آدمُ

يطلب شاعرنا من الكُتّاب عند العمل في هذه الصنعة إلى التواضع والتصاغر فيما بينهم ، وعدم التعرض من نقد و هجاء للأمرء والملوك والولاة ، وينصحهم بعدم المساس بهم أبداً ، فهذه الحكم هي من تجعل نجم الكُتّاب عالياً ناصعاً . فالشاعر -كما نلاحظ استعان بالبيت الأول بالألفاظ التي تدعو للهداية الذهنية ، أمّا في البيت الثاني فقد عمد إلى الصورة البصرية ، قاصداً الهداية الحسية (مطلوب ، 1980م ، ص 48) . ويقول (البُستي ، مصدر سابق ،ص252):

لا تفرعن من كلِّ شيءٍ مفرعٍ ما كلُّ تدبيرِ الثُروجِ بضائرٍ

يلاحظ القارئ أنّ البُستي يأمر عامة الناس أن لا يفرعوا من كل شيء عليه علامات الفرع ، أي يدعو أن يتحلى الانسان بالشجاعة والثبات ، ويقول أنه ليس كل حركات الأقمار والنجوم ، وتتجيم المنجمين متحقق ضار ، قد تكون حركات كونية طبيعية تجري ضمن السياق الحركي للفلك .

وينصح أحد الولاة المغرورين قائلاً (البُستي ، مصدر سابق ،ص24) :

قُلْ لِلذِي عَزَّتْهُ عِرَّةٌ مُلْكِهِ حتى أخلَّ بِطاعةِ النُّصحاءِ  
شرفُ المُلوكِ بعلمهم وبرأيهم وكذاك أوجُ الشمسِ في الجوزاءِ

يأمر الشاعر الملوك بعد الأغرترار بالملك ، وعليهم أن يأخذوا بنصيحة النُّصحاء والحُكماء ، وأن يتحلوا بالحكمة والرأي السديد والعلم ، فهذه مقومات السلطة والحكم . وقد عمد إلى الصور الفلكية لأنها حسية ، وقادرة على تصوير المشاعر الانسانية (الرباعي ، 1980م ، ص146) .

هـ -الهجاء: لقد عمد الشاعر إلى دوال الكونيات ، للتعبير عن مشاعره وخلجاته في موضوعه الهجاء والذم ، إذ يقول في هجاء أبي البعل (البُستي ، مصدر سابق ،ص89) :

ابنُ أبي البعلِ عدولٌ عن الـ عدلِ إلى الباطلِ والجورِ  
ولو غدا العقلُ نصيحاً لهُ وصانهُ من وصمةِ الخورِ  
تصيرُ الفِعلُ لربِّ السورى ومُبدعُ الأفلاكِ والسورِ  
لكنَّهُ نُورٌ فمن ذاك ما يجعلهُ للحوثِ والثورِ

يتناول الشاعر -هنا- المهجو أبا البغل مستعيناً بالأبراج ، لاسيّما برج الثور ، إذ يُطلق لفظه ( الثور ) على أبي البغل كنايةً على عدم الفهم والغباء وقلة القدر .  
ومنه يقول -أيضاً- (البستي ، مصدر سابق ، ص88):

لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْ سَائِسٍ      مَيَّرَ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْجَوْرِ  
لَكُنْتُ عَنْ فَلَكَ أَحْمَقٍ      يُسَوِّسُنَا بِالْحُوتِ وَالتَّوْرِ

ويستمر البستي باستعمال برج الثور دلالةً على عدم الفهم وقلة القدر ، ويوغل في قذع المهجو ويجعل الحمق صفةً من صفاته .  
وقوله (البستي ، مصدر سابق ، ص286):

شَرَفَ الْوَعْدِ بَوَعْدٍ مِثْلُهُ      مَثَلٌ مَا فِيهِ زَيْغٌ وَخَلَلٌ  
وَدَلِيلُ الصِّدْقِ فِيمَا قُلْتُهُ      شَرَفَ الْمَرِيخِ فِي بَيْتِ رُحَلِ

وعندما يواجه الشاعر مهجوين اثنين لا يجدُ بدأً من الاستعانة برمزين من رموز التشاؤم والشر وهما زحل والمريخ . لأن المبدع يرى فيهما خيرٍ عونٍ في توصيل المعنى والتأثير في المتلقي من اظهار الخسة والتعاسة .

ويقولُ ساخطاً وهاجياً للدهرِ وأفعاله (البستي ، مصدر سابق ، ص153):

لَا تَعْجَبَنَّ لِدَهْرٍ ظَلَّ فِي صَبَبٍ      أَشْرَافُهُ وَعَلَا فِي أَوْجِهِ السَّفَلُ  
وَانْقَدْ لِأَحْكَامِهِ أَنْتَى يُقَادُ بِهَا      فَالْمُشْتَرِي السَّعْدُ عَالٍ فَوْقَهُ رُحَلُ

يقول شاعرنا لا تعجب من علو السفلة على الأشراف ، فزحل الشر يعلو على رمز الخير المشتري ، ولكن تبقى المقامات محفوظة لكليهما .

ويقول (البستي ، مصدر سابق ، ص25):

أَخَّ لِي جَرِبْتُهُ مَرَّةً      فَتَدَمَّنِي طُولُ تَجْرِيهِ  
فَهَلْ كَانَ يُرِيحُ تَجْرِيَهُ      وَفَلَكَ التَّكْبُرُ تَجْرِي بِهِ

ويهجو أحد الولاة بقوله ( 41 ) :

قَدْ غَضَّ مِنْ أَمْلِي أَنْتَى أَرَى عَمَلِي      أَقْوَى مِنَ الْمُشْتَرِي فِي أَوَّلِ الْحَمَلِ  
وَأَنْتَى رَاحِلٌ عَمَّا أَحَاوَلْتُهُ      كَأَنْتَى اسْتَدْرُ الْحِظَّ مِنْ رُحَلِ

يلاحظ القارئ أنَّ الشاعر يملك من العزيمة والمهابة والأمل الشيء الكثير ، كأنَّه المشتري في بداية انطلاقته ، ومع ما يملك فهو محببٌ مهزومٌ من الداخل ، لأنه سيذهب إلى شخصٍ على الولايةٍ بخيلٍ ، وهو بذلك كأنَّه يستدر الحظ من زحل السيء صاحب رمزية الشؤم .

و- الرثاء :- شاعت في غرض الرثاء تداول ألفاظ الفلكيات ولكنّه أقل الأغراض ، حيث يقول راثياً  
أحد الولاة (البُستي ، مصدر سابق ، ص282) :

مَضَى الصَّاحِبُ الكافي ولم يبقَ بَعْدَهُ      كريمٌ يروِي الأرضَ فيضُ عَمَامِهِ  
فَقَدِنَاهُ لَمَّا تَمَّ واعْتَمَّ بالغُلا      كذاك خُسوفُ البَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ

يرسم لنا المبدع في هذه اللوحة مقطعاً رثائياً مؤثراً ، وذلك برثائه أحد الولاة حيث جعله كالغمامة التي  
تروي الأرض لكرمهِ وجودهِ على الرعية ، ويشبه فقدانه بالبرد بعد اكتماله وجماله في الأفق ، إذ  
ينسدل فجأة ويترك فراغاً عميقاً في النفوس والأذهان .

ي- الوصف : لقد ورد في غرض الوصف مثال واحد يضمُّ ألفاظاً للكواكب والأجرام السماوية ، وذلك  
حينما وصف أبو الفتح البُستي الملكة بلقيس  
بقوله (البُستي ، مصدر سابق ، ص296-297) :

كأنما النُّيلوْفَرُ الغُضُّ إذ      يبدو لنا من مائه الغَمَرِ  
وإذ يُراعي طلعةَ الشَّمسِ كي      يفتح أحداقاً من التَّبْرِ  
بلقيسُ في صرْحِ قواريرِها      واقفةً في الحُللِ الخُضْرِ  
ثراقبُ الشَّمسِ ومن دينِها      أن لها الخَلْقُ مع الأمرِ

يشبه الشاعر الملكة بلقيس بأنها من جنس الشمس ومن دينها ، من حيث الإطلالة والبهاء والرونق  
والجمال ، بيد أنها فاقت الشمس بأن لها الأمر والطاعة ، فجمعت بذلك الجمال والسلطة السياسية  
المطلقة .

وفي النهاية لا يسعني إلا القول أن أبا الفتح البُستي قد استعمل اللغة استعمالاً فنياً يدلُّ على مهارته  
الإبداعية ، ومن ثمَّ جسد شاعريته في خلق الاستجابة والتأثير في المتلقي ، حتى طبّق مقولة أن  
الصورة هي الوعاء الفني للغة الشعرية شكلاً ومضموناً (كبابة ، 1999م ، ص58) .  
النتائج :

لاحظنا من خلال ما سبق بأن الفلك كَوْن رافداً ثراً لأبي الفتح البُستي ، إذ أستلهم منه الكثير من  
الصور الشعرية ، وفي مختلف الأغراض والمقاصد، إذ وقفت مادحاً ومفتخراً ومتغزلاً وهاجياً  
وراثياً...ألخ من الأغراض ، وقد جعل من الأجرام السماوية وصفاتها الحقيقية والأسطورية المحور  
الذي تدور عليه الصورة الشعرية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن ألفاظ الفلك والأجرام السماوية قد أخذت  
معانٍ رمزية في ذهن الشاعر ، إذ وردت عموماً بالانطباعات الآتية :

- 1- وردت الشمس بوصفها معادلاً موضوعياً لشخصية الشاعر في مجمل الديوان ، إذ دلّت فضلاً عن أيقونة الجمال ، أنها رمزٌ للهيبة والعلو والعطاء .
  - 2- ظاهر خسوف القمر متلازمة الحزن في ذهن الشاعر .
  - 3- يمثل رُحل والمريخ رمزي الشؤم والنحس الدائم عند البُستي .
  - 4- يشكّل كسوف الشمس رمزاً دائماً للمعاناة والقلق عند الأديب .
  - 4- يرى الشاعرُ في القمرِ والبدرِ متلازمين للجمال والضياء ومحوراً فاعلاً للغزل
  - 5- تأتي الكواكبُ رمزاً دائماً للعلو والألقِ عند أبي الفتح البستي .
  - 6- يمثل بُرجُ الثورِ معادلاً موضوعياً للغباءِ وقِلَّةِ القَدْرِ .
- وهذه هي أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة .

#### المصادر والمراجع :

- 1- البُستي ، أبو الفتح ، (1989م) ، ديوان شعر ، تحقيق الأستاذين : دريَّة الخطيب و لُطفي الصَّقَّال ، (د. ط ) ، سوريا ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- 2- الرباعي ، عبد القادر ، (1980م) ، الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، ، ط1، الأردن .
- 3- الصائغ ، د. عبد الإله ، (1987م ) ، الصورة الفنيَّة معياراً نقدياً ، ، ط1، العراق ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامَّة .
- 4- العريض ، إبراهيم ، ( 1974م ) ، نظرات جديدة في الفن الشعري ، ط2 ، الكويت ، مطبعة دولة الكويت .
- 5- الغانمي ، سعيد ، (2015م ) ، فاعليَّة الخيال الأدبي ، ط1 ، لبنان ، بيروت ، منشورات دار الجمل .
- 6- غزوان ، د. عناد ، ( 1994م ) ، مستقبل الشعر وقضايا نقدية ، ط1 ، العراق ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية .
- 7- كياية ، وحيد صبحي ، ( 1999م ) ، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس ، (د. ط ) ، سوريا ، دمشق ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب .
- 8- لويس ، سي دي ، ( 1982م ) ، الصورة الشعرية ، تر: أحمد نصيف الجنابي وآخرون ، مراجعة : د. عناد غزوان ، العراق ، بغداد ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر .
- 9- مطلوب ، د. أحمد ، ( 1980م ) ، قضايا بلاغية ونقدية ، العراق ، بغداد ، دار الحرية للطباعة .
- 10- الهرامة ، د. عبد الحميد عبد الله ، ( 1996م ) ، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، (د. ط ) ، تونس .